من المصائب الجليلة والرزايا الفاجعة التي منيت بها الأمة الإسلامية في فترات ضعفها ولا تزال تسلط الأعداء عليها فشاهدنا عبر التاريخ عند عدم القيام بأوامر الله وضعف القيادة السياسية (المتمثلة في خليفة المسلمين أو من ينوب عنه) حدوث هجمات شرسة تمكن من خلالها أعداء الأمة من احتلال أراضي المسلمين والتحكم في شؤونهم فمرت الأمة بأحداث مؤلمة مثل الغزو التتري والصليبي وصولاً إلى الاستعمار الأوروبي الذي مازالت أثاره طاغية على المشهد إلى وقتنا هذا وقد تنوعت أشكال مواجهة هذا الاستعمار فتارةً تتبنى المواجهة العسكرية المباشرة وتارةً تتبنى التنديد السياسي والإعلامي وتارةً تعتمد على الاغتيالات الأمنية ومن الاتجاهات التي ظهرت أيضاً الدعوات الإصلاحية ومن أبرز رواد هذا الاتجاه الشيخ عبدالحميد بن باديس الذي ساهم بشكل كبير في مواجهة الاستعمار الفرنسي للجزائر ويتناول هذا التقرير حياة الشيخ والجهود التي قام بها وتأسيسه جمعية العلماء مع التعريج على الظروف المحيطة بهذه الفترة.

مقدمة تاريخية جغرافية:

الجزائر دولة أفريقية من حيث التقسيم القاري أما من حيث الانتماء فهي من دول المغرب العربي الإسلامي وأضفت المساحة الكبيرة التي تتمتع بها البلاد تنوعاً هائلاً في التضاريس وطبيعة الأرض والموارد الطبيعية؛ فمن شريط ساحلي إلى جبال وهضاب إلى صحراء رملية.

تشترك الجزائر مع عدة دول في الحدود وأيضاً لها منفذ بحري فعلى الحدود الغربية تقع دولة المغرب ومن الجنوب الغربي الجمهورية العربية الصحراوية (غير معترف بها بشكل تام) وجنوباً دول الساحل الإفريقي موريتانيا، النيجر، مالي ومن الشرق ليبيا وتونس أما منفذها البحري فشمالاً على البحر المتوسط.

ولما كان من أهم أدوات الاستعمار تدمير الهوية وفصل الواقع عن البعد التاريخي كان لزاماً علينا أن نتعرض لسرد تاريخي موجز لقراءة المشهد قراءة صحيحة.

تتمتع الجزائر بتاريخ ضارب الجذور فمنذ العصر الحجري أو ما يعرف بمرحلة ما قبل التاريخ وجدت آثار تدل على وجود حياة وحركة بشرية في هذه المنطقة واتفق المؤرخون على أن أبناء نوح الذين تفرعت عنهم جميع الأمم ثلاثة: سام، حام، يافث.

وقد ذكر ابن خلدون قول بأن أهل إفريقية والمغرب قبل البربر يرجع نسبهم إلى قطوبال من أبناء يافث. [1]

[1]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، تقديم محمد الميلي

والبربر أمة قديمة عاصرت العرب والفرس واليونان والروم هاجروا من الشام واستوطنوا مناطق المغرب ثم وفد عليهم الفينيقيون ونشأت بينهم تحالفات قوية إلى أن حلت بينهم الصراعات خصوصاً بعد استمالة البربر من قبل أعداء الفينيقيين من اليونان والروم إلى أن دمرت هذه الحروب الفينيقيين وقضت على حضارتهم ولم يبقى إلا آثارهم.

ومع توسع الرومان وسعيهم لبسط نفوذهم على العالم سيطروا على هذه المنطقة بعد هزيمتهم لدولة الفينيقيين قرطاجنة؛ والرومان ينسبون إلى روما مدينة في وسط إيطاليا أسسها - بحسب الرومان - روملوس سنة ٧٥٣ قبل الميلاد.[١]

وبعدما دار الزمان على روما وأخذت تضعف قوتها وانتشرت المؤامرات الداخلية واستعان المتحاربون على السلطة بقوى خارجية تحالف الوندال مع أحد أجنحة الصراع وقدموا إلى المنطقة ولكن سرعان ما تحول هذا التحالف إلى عداوة وخصومة أدت في النهاية إلى سيطرة الوندال على المنطقة؛ والوندال إحدى أمم القوط والقوط لقب يطلق على شعوب كانت تعرف قديماً بالسيسيين نسبة إلى أرض بين الفرس واليونان[٢]؛ وتنقلت هذه الشعوب من مكان لآخر وتفرعت عنها ممالك وقبائل منها قوم الوندال الذين انتهى بهم المطاف إلى الاستقرار في جنوب إسبانيا حتى نسب إليهم وصار يدعى وندلوسيا وغيرته العرب إلى كلمة أندلس.[٣]

وبحلول عام ٣٢٤ أنهى الإمبراطور قسطنطين حالة الانقسام داخل البيت الروماني وأصبح الإمبراطور الوحيد للملكة الرومانية ثم نقل مقر الحكومة إلى الشرق وجعل عاصمته بيزنطة ولما أفضت الإمبراطورية إلى ثاودوسيوس قسم المملكة بين ولديه فجعل ارقاديوس على العاصمة الشرقية، وهنوريوس على العاصمة الغربية، وبعد وفاة ثاودوسيوس في سنة ٣٩٥ تم الانفصال بين العاصمتين وأخذت الأولى في الصعود والثانية في السقوط.[٤]

وغالباً ما يطلق العرب على المملكة الشرقية اسم الروم وعلى الغربية اسم الرومان ومع تزايد قوة الروم نظروا إلى أنفسهم بأنهم الوريث الشرعي لكل المناطق التي خرجت عن سيطرة روما فأخذوا في استرجاعها لكن لم تنعم فترة حكمهم لمنطقة الجزائر وما حولها بالاستقرار نظراً لكثرة التمردات من البربر والوندال.

---

[١]- المصدر السابق
[٢]- المصدر السابق
[٣]- المصدر السابق
[٤]- المصدر السابق

نتيجة انتشار الإسلام وتوالي الفتوحات في بلاد المشرق كان من البد أن تمتد هذه الفتوحات لتشمل بلاد المغرب بهدف نشر الدين الإسلامي وبهدف تصفية الإمبراطورية البيزنطية لأن بلاد المغرب كانت في ذلك الوقت تتبع لها.

وقد استطاع المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين السيطرة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط من الشام إلى إفريقية وبعد فتح مصر استمر المسلمون في فتوحاتهم لتأمين حدودهم فاتجهت حركة الغزو إلى إفريقية ومنها إلى المغرب الأوسط (الجزائر).

ولم يتمكن المسلمون من السيطرة على المغرب تماماً إلا بعد أن ابتعدوا عن سياسة المواجهة العسكرية العنيفة، وعملوا على اكتساب البربر عن طريق نشر الإسلام بينهم، وإدخالهم في الجيوش العربية كجنود محاربين، وإشراكهم في تسيير الإدارة الجديدة، وإدماجهم مع إخوانهم العرب المسلمين في ديوان الجند دون تمييز. [١]

ومرت مرحلة الفتح في بلاد المغرب بعدة مراحل فمن حملات الصحابة مروراً بمعارك عقبة بن نافع وصولاً إلى اجتياح موسى بن نصير وطارق بن زياد للمنطقة وتوالى حكم الدول الإسلامية لها وكانت آخرها الخلافة العثمانية قبل أن تقع الجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي عام١٨٣٠.

ومع تقهقر الدولة العثمانية حتى باتت توصف بالرجل المريض سعت دول أوروبا خصوصاً بريطانيا وفرنسا لاقتسام أملاكها وتوجهت أنظار فرنسا نحو الجزائر؛ ونسيت المساعدات التي كانت تقدمها الجزائر لشعب فرنسا ووقوفها بجانبها في بعض الأزمات. [٢]

وبعد الحملات العسكرية والحروب التي دارت بين الفريقين اجتمع وفد من أعيان الجزائر في ليلة ٢ يوليو عام ١٨٣٠ ولتفادي الدمار الذي سيحل نتيجة دخول الفرنسيين عنوة قرر الوفد قبول مقترح باشا الجزائر الداي حسين الثاني بالاستسلام وتوقيع معاهدة. [٣]

واضطر الداي إلى قبول الشروط الفرنسية، ووقع على وثيقة الاستسلام يوم ٥ يوليو ١٨٣٠، وفي يوم ٦ يوليو١٨٣٠ دخل الجنود الفرنسيين مدينة الجزائر من الباب الجديد بأعلى المدينة وأنزلت أعلام دولة الداي العثمانية وارتفعت في مكانها رايات الاحتلال

---

[١] - كتاب موجز عن الفتوحات الإسلامية، طه عبدالمقصود أبو عبيَّة

[٢] - لمحة عن الأوضاع العامة للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، د.بوزيفي وهيبة، مدونة إلكترونية

[٣] - المصدر السابق

الفرنسي وأقيمت صلاة للمسيحيين وخطب فيها كبير قساوسة الحملة، فقال مخاطباً قائد الحملة الفرنسية: " لقد فتحت بابا للمسيحية على شاطئ إفريقيا." [١]

وبعد توسع الاحتلال الفرنسي في الجزائر قامت الثورات الشعبية ومقاومة الاحتلال وبرز رموز مثل الأمير عبدالقادر والحاج أحمد باي ولكن نتيجة بعض الظروف الداخلية والخارجية - ليس هنا مجال تفصيلها - لم تؤتي هذه المقاومة أكلها وسيطرت فرنسا على الجزائر واستعملت فرنسا نظام البلديات المختلطة والأحواز العسكرية للتحكم في المناطق التي يخشى ثورة أهلها واستخدمت عملاء من أبناء الجزائر لمساعدتها في إدارة هذه المناطق فانتشر الفساد والظلم، وفي هذه الظروف ولد الشيخ عبدالحميد بن باديس.

نسبه وولادته:

هو عبدالحميد بن محمد بن مكي بن باديس الصنهاجي وينتهي نسبه إلى المعز بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت الأغالبة على مملكة القيروان، وأمه السيدة زهيرة بنت علي الأكحل بن جلول.

ولد بمدينة قسنطينة يوم الأربعاء ١٠ ربيع الثاني لعام ١٣٠٨ هجري الموافق ١٨٨٩/١٢/٤ ميلادي.

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الشيخ عبدالحميد في بيئة علمية فوالده من الوجهاء المعروفين في بلدته فتوجه لحفظ القرآن الكريم وهو صغير على يد الشيخ محمد المداسي فختمه ولم يبلغ بعد الثالثة عشر من عمره.

ثم شرع في الدراسة على يد الشيخ حمدان الونيسي فأخذ عليه مبادئ العلوم الشرعية والعربية وتأسست بينهما علاقة قوية ولكن لم يستطع إكمال الدراسة عليه بسبب هجرة الشيخ حمدان إلى المدينة المنورة.

بعد ذلك توجه الشيخ عبدالحميد إلى تونس ليلتحق بالدراسة في جامع الزيتونة وكان عمره في ذلك الوقت تسعة عشر عاماً فدرس على يد ثلة من العلماء الأفاضل مثل الشيخ محمد النخلي أستاذ التفسير والشيخ الطاهر بن عاشور مدرس الأدب العربي

---

[١] - المصدر السابق

والشيخ البشير صفر أستاذ التاريخ وكان لهؤلاء العلماء تأثير بالغ على حياة الشيخ عبدالحميد بن باديس فتفتحت آثاره على ما كان يجري في العالم الإسلامي بالإضافة إلى مطالعته الخارجية التي جعلت تحصيله العلمي يفوق الكثير من مجرد السعي لنيل الشهادة، وساعد على تفوقه وبروزه بين طلبة الزيتونة ما توافرت له من أسباب التحصيل فلم يكن يحمل همَّ السعي لاكتساب رزق أو رعاية أسرة فكان على رأس قائمة الخريجين وقلَّما يصل لهذا التفوق أحد من غير أبناء مشايخ الزيتونة أو أهلها والمتيسر لهم الدراسة فيها.

نشاطاته التعليمية:

وبعد عودته من الزيتونة عام ١٩٢٣ حصل له والده على إذن من والي الولاية للتدريس في الجامع الكبير بقسنطينة وبدأ في الشرح لطلاب العلم كتاب الشفا للقاضي عياض مع القيام بحلقات الوعظ لعامة الناس مع الطلاب، لكن المفتي ابن موهوب إمام الجامع لم يعجبه هذا النشاط في مكان يختص هو بالقيام على شأنه فاتخذ موقف من الشيخ عبدالحميد بن باديس وسعى في منعه من التدريس وترك هذا أثراً سيئاً في نفس الشيخ؛ ونتيجة لهذا همَّ بالرحيل عن بلده وتوجهت أنظاره إلى أرض الحجاز للقيام بفريضة الحج والتقاء علماء الحجاز.

وفي المدينة اجتمع بشيخه الونيسي وأخذ العلم على بعض أصحابه كالشيخ حسين الفيض أبادي ولقي الشيخ عبدالحميد تقديراً منهم كما تعرف أيضاً على الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ومع رغبته في ملازمة شيخه الونيسي أخذ بنصيحة الشيخ الفيض أبادي بالعودة إلى بلده للقيام بالدعوة والتعليم فعاد في العام التالي بعد زيارته لبعض البلدان منها دمشق ولبنان ومصر ومقابلته لعلماء هذه البلاد والاطلاع على أحوال هذه البلاد.

وفور عودته إلى قسنطينة أخذ رخصة رسمية من الوالي للسماح له بالتدريس واستأنف نشاطه التعليمي والتربوي، ولما كان انتماء الشعب الجزائري للإسلام وتمسكه بعروبته ضد محاولات الإدماج الفرنسي من القضايا المحورية في دعوة الشيخ عمل على نشر التعليم العربي الإسلامي بين أطياف الشعب الجزائري من كبار وصغار ورجال ونساء فأسس في سنة ١٩٢٦ مدرسة لتعليم الصغار في مسجد سيدي بومعزة تحت اسم المكتب العربي ويتحدث الشيخ عن هذه الخطوة فيقول: كان التعليم المسجدي بقسسنطينة مقتصراً على الكبار ولم يكن للصغار إلا الكتاتيب القرآنية فلما يسر الله لي الانتصاب للتعليم في سنة ١٩١٣ جعلت من جملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب

القرآنية بعد خروجهم منها في آواخر الصباحية وآواخر العشية وبعد تأثير هذه الجهود في مجال التعليم المدرسي الحر بقسنطينة قام المخلصون من العلماء والعامة بإنشاء مدارس للتعليم القومي في مناطق أخرى من المنطقة الشرقية وعمت بعد ذلك كل أنحاء الوطن عندما توفرت الإمكانيات وسمحت الظروف بذلك.

أما بالنسبة لاهتمامه بتعليم المرأة فقد كان يرى أن البيت هو المصنع الأساسي لتكوين الرجال ودور الأم له أكبر تأثير في المحافظة على أركان هذا البناء الأسري وتوفير بيئة صالحة لتخريج جيل معتز بدينه وقيمه يتصف بأخلاق حميدة تمكنه من إحداث نهضة في كافة المجالات.

ومن الخطوات العملية التي اتخذها في هذا المجال حرصه أن يتضمن القانون الأساسي لجمعية التربية والتعليم على بند ينص على أن يكون تعليم البنات مجانياً سواء قدروا على دفع المصاريف أم لا وكان يتواصل شخصياً مع المواطنين ليحثهم على إرسال بناتهم لمدرسة التربية والتعليم وكان هذا من أهداف جولاته الدعوية في أنحاء القطر مع طلبه من العلماء أن يشجعوا على هذا التوجه ولم يكتفي بتعليم البنات الصغار فخصص دروساً للنساء الكبار في المسجد الأخضر بقسنطينة.

وقد أولى ابن باديس كل هذا الاهتمام لتعليم المرأة لما يدبر للمرأة المسلمة خفية وعلانية فكانوا يحرصون على بقاء المرأة جاهلة أو تعليمها وفق الطريقة الغربية ليكون تحول المجتمع نحو التغريب من داخل البيت فانطلقت الصحف الفرنسية تدعو إلى تعليم المرأة الجزائرية التعليم الغربي فكان رد الشيخ عليهم: نعلم ونجزم أن تعليم المرأة إذا لم يكن بلسان قومها فمهما بلغت من العلم ما بلغت يكاد أن يضلها عن الطريق المستقيم.

نشاطه السياسي وتأسيس جمعية العلماء المسلمين:

لمَّا كان الدين الإسلامي يشمل حياة المسلم كلها وليس فقط الأمور التعبدية والروحانية كان لزاماً على العلماء أن يتصدوا للشأن العام ليوضحوا للناس ما ينبغي فعله في جميع أمورهم من زواج وبيع وشراء وعمل وتنصيب الحاكم وفض النزاعات ورد الحقوق؛ وبما أن ابن باديس بطبيعة شخصيته وتكوينه العلمي كان هذا الأمر من الوضوح عنده بمكان برزت له إسهامات في هذ الجانب منها مشاركته في صحيفة النجاح وكتابته مقالات يتحدث فيها عن الواقع الذي تعيشه الأمة لكن مع ظهور بعض الخلافات وعدم تحقيق الهدف المنشود ترك هذه الصحيفة، ثم مع عودة الشيخ الإبراهيمي إلى الجزائر بعد رحلته للحجاز ودمشق أخذ ينظم مع الشيخ ابن باديس زيارات دورية يتباحثان فيها

سبل النهوض بالأمة الجزائرية فتبلورت فكرة إنشاء جمعية تحت مسمى الإخاء العلمي تجمع شمل العلماء الصادقين وتوحد جهودهم ولكن حالت الظروف بين إتمام هذه الفكرة، ثم بعد تأسيسه للمطبعة الإسلامية الجزائرية أصدر عدة صحف مثل المنتقد والشهاب، وأيضاً خاض معركة ضد ترويج البدع والخرافات أدت لمحاولة اغتياله على يد بعض أتباع الطرق الصوفية، وتوالت إسهامات الشيخ لمعالجة الواقع إلى أن كللت بالنجاح في صورة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعتبر أبرز حركة إصلاحية ظهرت في الجزائر وهي امتداد طبيعي لجذور المجتمع الجزائري الرافض لمحاولة المستعمر القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية وإحلال الثقافة الغربية كبديل وذلك في إطار الصحوة الإسلامية، فقد ظهرت في الوقت الذي تكاثر فيه الحديث عن إدماج الجزائر في فرنسا، والدعوة للتخلي عن الهوية الإسلامية.

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ١٣٤٩/١٢/١٧ هجرياً الموافق ٥/٥ / ١٩٣١ ميلادياً في نادي الترقي بالعاصمة الجزائر.

عشية الحرب العالمية الأولى غادر الجزائر جماعة من طلبة العلم الشبان إلى تونس والمغرب والحجاز ومصر والشام بهدف الحصول على الثقافة العربية والإسلامية، حيث معاهد العلم الكبرى، بعد أن حوصرت منابع العلم الأصلية من طرف الإدارة الاستعمارية، ومع عودتهم للجزائر عملوا على نشر الوعي وهذا ما جعلهم يهتمون بالقضايا السياسية، من منطلق التمسك بتعاليم الإسلام وتطبيقه في واقع الحياة وكنتيجة للشعور بضرورة وحدة العلماء في أعمالهم - كما كان ذلك في مقاصدهم- فقد ظهر سنة ١٩٢٤ فكرة إنشاء جمعية الإخاء العلمي التي تحدثنا عنها على أن الهدف الأسمى كان إنشاء جمعية إسلامية تقوم بمهمة إعادة بعث التراث العربي الإسلامي في الجزائر، والدعوة إلى التمسك به، ولعب الشيخ عبدالحميد بن باديس، دوراً بارزاً في الترويج لهذه الفكرة.

وقد تجمعت بعض العوامل الداخلية والخارجية التي دفعت العلماء للتحرك في هذا السبيل فمن العوامل الداخلية الأوضاع السائدة بالجزائر في أواخر القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين حيث حاول المستعمر الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر القضاء على المقومات الوطنية المتمثلة في القضاء على اللغة العربية والدين، وأيضاً نشاط حركات التنصير المدعومة من فرنسا لتحويل أبناء وبنات الشعب الجزائري عن دينهم، ومنها سياسة التجنيس المفروض على الشعب الجزائري، وزاد من الكارثة انحراف الطرق الصوفية عن المنهج الصحيح للدين فانتشرت البدع والخرافات وتحولت معظم هذه الطرق من مقاومة المحتل إلى التعاون معه.

أما العوامل الخارجية فتمثلت في دعوات الإصلاح التي عمَّت الدول الإسلامية وانتشرت أفكارها بين أبناء المجتمع الجزائري عن طريق الاحتكاك المباشر مع رموز هذه الدعوات أو قراءة ما ينتج عنهم إضافة إلى مطالعة كتب التراث الإسلامي والتأثر بالعلماء المصلحين كابن تيمية، وابن القيم، والعز بن عبدالسلام، والشوكاني وهو ما مهد لتلقي محاولات الإصلاح بالقبول نتيجة التطور الفكري الذي نتج عن الحرب العالمية الأولى. ومن هنا يتضح لنا أن إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يكن وليد ١٩٣١ أو جاء كرد فعل على الاحتفالات الفرنسية بالذكرى المئوية سنة ١٩٣٠ وإن كانت الاحتفالات أخرجتها إلى حيز الوجود.[١]

أما عن قصة تأسيس الجمعية فقد اجتمع بنادي الترقي في يوم السابع عشر من شهر ذي الحجة لعام ١٣٤٩هجرياً اثنان وسبعون من العلماء وطلبة العلم استجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية لمجموعة من فضلاء العاصمة عميدها السيد عمر إسماعيل بهدف تأسيس جمعية العلماء المسلمين ووضع القانون الأساسي للجمعية وعينوا للرئاسة المؤقتة الشيخ أبى يعلى الزواوي وللكتابة الأستاذ العمودي وتم التوافق على القانون بإجماع الجمعية العمومية ثم تشكلت الهيئة الإدارية عن طريق الاقتراح وتكونت من عبدالحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، محمد الأمين العمودي، مبارك الميلي، إبراهيم بيوض، المولود الحافظي، مولاي بن الشريف، الطيب المهاجي، السعيد اليجري، حسن الطرابلسي، عبدالقادر القاسمي، محمد الفضيل الورتلاني.

وأعلنت الجمعية لهؤلاء أن عملهم مقصور على انتخاب رئيس لهم ونائب رئيس وكاتب عام ومساعده وأمين مال ومساعده، وأن يعيدوا النظر في القانون الأساسي ويقدموه للحكومة الفرنسية للتصديق عليه فاجتمعت الهيئة الإدارية ماعدا الأستاذين ابن باديس والطرابلسي الغائبين، فانتخب للرئاسة عبدالحميد بن باديس، وللنيابة عنه محمد البشير الإبراهيمي، وللكتابة العامة محمد الأمين العمودي ولمساعدته الطيب العقبي، ولأمانة المال مبارك الميلي ولمساعدته إبراهيم بيوض، أما بقية الأعضاء المذكورين فكانوا أعضاء مستشارين.

وفي اليوم التالي عقدت الهيئة الإدارية أول جلسة برئاسة الشيخ الإبراهيمي لتعيد النظر في القانون الأساسي وتقديمه للحكومة الفرنسية، وفي نفس اليوم عقدت جلسة برئاسة ابن باديس وعرضت عليه الأعمال فوافق عليها وتم تنظيم حفلة شكر فيها ابن باديس اللجنة التحضيرية وتحدث عن تكوين الجمعية وختمت الحفلة ببعض التلاوات والأناشيد.

---

[١] - الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مبارك الميلي أنموذجاً، صبرينة شامة

لقد أعلنت الجمعية في بيان تكوينها أنها جمعية ثقافية، وهو الشيء الذي يجعلنا ندرك عمق الفهم الذي كان عليه مؤسسوها الأوائل، وحسن تقديرهم، ومعرفتهم لحقيقة وغاية الإدارة الاستعمارية، فلقد أصرت الجمعية من أول يوم على أن تنأى بنفسها عن السياسة مع الإدارة الفرنسية، وأن تنصرف إلى تربية الشعب الجزائري؛ وهذا ما نلمسه بوضوح في قانونها الأساسي الخاص، والذي اتسم بالمهادنة، لذلك وافقت إدارة ميرانت مسؤول الشؤون الأهلية، على طلبها بعد خمسة عشر يوم فقط من تقديمها.[1]

ومن المبادئ التي ارتكزت عليها الجمعية في دعوتها إحياء الدين الإسلامي وتطهيره من الشوائب التي علقت به، تطوير الثقافة العربية الإسلامية، توحيد أبناء الشعب الجزائري تحت راية العروبة والإسلام، توعية الشباب الجزائري وتهيئته للنضال في المستقبل، إقامة جسور للتعاون بين الجزائر والدول العربية الإسلامية.

ولأجل تحقيق الأهداف التي رسمتها الجمعية فقد نوعت من مجالات عملها فشملت

المجال الديني ومن الخطوات البارزة في هذا المجال محاربة الشركيات والبدع، ومحاربة الزوايا والطرقية المنحرفة، ومحاربة التبشير المسيحي.

وأيضاً المجال الثقافي الاجتماعي من خلال مقاومة الأمية، ومحاربة الآفات الاجتماعية، والاهتمام بالأطفال والمرأة.

أما في المجال الاقتصادي فبرزت محاولتها تأسيس البنك الإسلامي الجزائري ومشروع جمعية الزكاة ولا ننسى تبنييها المطالبة بعدالة الأجور ووقت العمل.

وأخيراً مجال السياسة ومن ذلك مواقفها المميزة في مقاومة التجنس والإدماج.

وقد استعانت بجميع الوسائل الممكنة لتحقيق أهدافها فقامت بتأسيس المدارس والمساجد الحرة، وفتح النوادي، وتكوين الفرق الرياضية والمسرحية والكشافة، وإصدار الصحف، وتعزيز الانتماء العربي الإسلامي.

ولما كان أي عمل بشري مهما بلغ حسنه يعتريه ما يعتريه من النقص فقد وجهت بعض الانتقادات للجمعية منها على سبيل المثال ما ذكره مالك بن نبي حول انشغال الجمعية في بعض الأوقات بالصراعات السياسية ومحاولة حشد الجماهير ورأى في ذلك هدر مجهود في غير الهدف الرئيسي وهو بناء الوعي.

---

[1] - مبادئ ومجالات الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رشيد مياد

مواقف مشرقة من حياة الشيخ:

كانت حياة الشيخ حافلة بمواقف تنم عن طيب معدنه منها ما ذكره الشيخ صالح العصيمي عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية وقد ارتحل في طلب العلم ولقي بعض تلاميذ ابن باديس فروى عنهم موقف جمع فيه حاكم فرنسا بالجزائر العلماء والوجهاء ليخوفهم قوة فرنسا وأن لديها اليوم مدافع متطورة فرد عليه ابن باديس بأن لديهم مدفع أقوى وهو مدفع الله لقوله تعالى إن الله يدافع عن الذين آمنوا.[١]

وموقف آخر في صدعه بالحق أمام والده حيث استدعاه الحاكم بحضور والده وطلب من والده أن يحدثه بأن يبتعد عن التشغيب على فرنسا وبعد حديث والده التفت إلى الحاكم وقال له إن والدي يعلم أن الله لا يرضى أن أعصيه سبحانه في سبيل طاعة والدي.[٢]

وفاته ودفنه:

توفي الشيخ ابن باديس مساء الثلاثاء ٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٩ هجرياً الموافق السادس عشر من أبريل سنة ١٩٤٠ ميلادياً ومع حياته فترة بسيطة نسبياً إلا أنها كانت مليئة بالعطاء وقد دفن في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة.

وتعاقب على رئاسة جمعية العلماء بعد وفاته كلاً من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كرئيس ثاني ثم الشيخ أحمد حماني رئيس ثالث ثم الشيخ علي مغربي رئيس رابع ثم الشيخ عبدالرحمن شيبان رئيس خامس ثم الشيخ عبدالرزاق قسوم رئيس سادس.

١- دروس مسجلة للشيخ العصيمي على الشبكة العنكبوتية

٢- مقتطف من تسجيل شرح العروة الوثقى للعصيمي على الشبكة العنكبوتية

قائمة المصادر والمراجع

- مازن صلاح مطبقاني، عبدالحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلم - دمشق، ١٩٩٩.
- التجربة الدعوية للشيخ عبدالحميد بن باديس – إعداد مركز البحوث والدراسات.
- أساليب ابن باديس في مواجهة الإدماج، فاطمة الزهراء، مجلة كان التاريخية، السنة الخامسة، العدد ١٣.
- عبدالرحمن شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة.
- رشيد مياد، مبادئ ومجالات الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جامعة المدية.
- صبرينة شامة، الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين مبارك الميلي أنموذجاً، مذكرة شهادة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي – كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الإنسانية.
- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر.
- بوزيفي وهيبة، محاضرات مدخل إلى تاريخ الجزائر المعاصر، جامعة الجزائر كلية علوم الإعلام والاتصال قسم الإعلام.
- طه عبدالمقصود أبوعبيَّة، موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات – القاهرة.
- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب تقديم وتصحيح محمد الميلي.